من آتون النار إلى القصر

السبت بعد الظهر

المراجع الأسبوعية: دانيال ٣؛ رؤيا ١٣: ١١-١٨؛ خروج ٢٠: ٣-٦؛ تثنية ٦: ٤؛ ١كورنثوس ١٥: ١٢-٢٦؛ عبرانيين ١١.

آية الحفظ: «إلهنا الذي نعبده يستطيع أن يُنجِّينا من آتون النار المُتَّقدة، وأن ينقذنا من يدك أيها الملك» (دانيال ٣: ١٧).

«إذًا هؤلاء الشبَّان، مُلهَمين من الروح القدس، يُعلِنون إيمانهم للأمة كلها، أنَّ ذاك الذي يعبدونه هو الإله الحق والحي الوحيد. هذا الإعلان عن إيمانهم الشخصي كان أبلغ تصريح عن مبادئهم. فلكي يُؤثِّروا ويطبعوا في نفوس الوثنيين قُوَّة وعظمة الإله الحي، كان على عبيده أن يكشفوا خشوعهم الشخصي لله. عليهم أن يعلنوا بكل وضوح بأنه هو الوحيد الذي يستحق إكرامهم وعبادتهم، وأنه ليس من اعتبار آخر، ولا حتى حفظ الحياة ذاتها، يمكن أن تدفعهم لتقديم أيَّة تنازلات للوثنية. هذه الدروس تحمل تأثيرًا حيويًا ومُباشرًا على اختبارنا في هذه الأيام الأخيرة» (روح النبوة، In Heavenly Places، صفحة ١٤٩). بينما قد يبدو بأنَّ مواجهة التهديد بالموت بسبب موضوع العبادة هو شيء من عصر الخرافات وما قبل العلم الحديث، يكشف الكِتَاب المُقَدَّس بأنه وفي نهاية الزمن، حينما ‹يتقدَّم› العالم بشكل كبير، فإنَّ شيئًا مماثلًا سينكشف، ولكن على مستوى العالم ككل. وهكذا، فمن دراسة هذه القصة، سنحصل على رؤية إلى داخل الأمور التي ستواجه المؤمنين بالله، حسب الكِتَاب المُقَدَّس.

* نرجو التعمُّق في موضوع هذا الدرس استعدادًا لمناقشته يوم السبت القادم الموافق ٢٥ كانون الثاني (يناير).

الأحد

١٩ كانون الثاني (يناير)

التمثال الذهبي

اقرأ دانيال ٣: ١-٧. ما هي الدَّوافع المحتملة التي حثَّت الملك على إقامة هذا التمثال؟

لقد مضى بعض الوقت بين الحلم وإقامة التمثال. ومع ذلك، يبدو أنَّ الملك لم يعد يستطيع أن ينسى الحلم وحقيقة أنَّ بابل ستُستَبْدَل بمملكة وقوى أخرى. وإذ لم يكتَف بكونه الرأس الذهبي فقط، أراد الملك أن يكون ممثَّلًا بكامل التمثال من الذهب لكي يوصل إلى رعاياه بأنَّ مملكته ستدوم على مدى التاريخ.

هذا الموقف والسلوك من الكبرياء يُذكِّرنا ببُناة برج بابل، الذين، بغرورهم وغطرستهم، حاولوا أن يتحدُّوا الله ذاته. لم يكن نَبُوخَذْنَصَّر أقل غرورًا هُنا. لقد أنجز الكثير كحاكم لبابل، وهو لا يستطيع أن يعيش مع فكرة أنَّ مملكته ستزول في النهاية. وهكذا، في محاولته لتمجيد ذاته، يقيم تمثالًا ليستعرض قوَّته وبذلك يُقيِّم ولاء رعاياه. مع أنَّه ليس من الواضح ما إذا كان المقصود من التمثال أن يكون رمزًا للملك أو إلى إله، علينا أن نُبقي في أذهاننا بأن الخط الفاصل بين السياسة والدين، في الأزمان القديمة، كان خطًا غير واضح في أغلب الأحيان، هذا في حالة وجوده أصلًا.

علينا أن نتذكَّر، أيضًا، بأَنَّ نَبُوخَذْنَصَّر كانت لديه فرصتان للتعرُّف على الإله الحقيقي. أولًا، عندما امتحن الشبَّان العبرانيين ووجدهم أكثر معرفة وحِكمة بعشرة مرَّات من كل حُكماء بابل. ثم، بعد أن فَشَل كل باقي الخُبراء في تذكيره بالحلم، يُخبره دانيال بالأفكار التي انتابت ذهنه، والحلم، وتفسيره. أخيرًا، يُدرِك الملك عظمة وتفوُّق إله دانيال. لكن وبكل دهشة، هذه الدروس اللاهوتية السابقة لم تمنع نَبُوخَذْنَصَّر من العودة إلى الوثنية. لماذا؟ على الأرجح، الكبرياء. إنَّ المخلوقات البشرية الخاطئة تُقاوم الاعتراف بحقيقة أنَّ إنجازاتهم المادِّية والفكرية هي هباء ومصيرها الاختفاء والتَّلاشي. أحيانًا قد نتصرَّف كـ «نَبُوخَذْنَصَّر» إذ نهتم كثيرًا بإنجازاتنا وننسى قدر ما يمكن أن تكون عليه من تفاهة في مواجهة الأبدية.

كيف يمكننا أن نتعلَّم ألا نسقط، حتى بطرق خادعة جدًا، في نفس الفخ الذي نصبه نَبُوخَذْنَصَّر؟

الدَّعوة إلى السجود

اقرأ دانيال ٣: ٨-١٥؛ ورؤيا ١٣: ١١-١٨. ما هي أوجه الشبه بين ما حدث في زمن دانيال وما سيحدث في المستقبل؟

إنَّ تمثال الذهب الذي أُقِيم في سهل دورا، الذي اسمه باللغة الأكدية يعني «المكان المُسوَّر أو المُحوَّط»، يمنح الانطباع بمعبدٍ شاسع. وكأن ذلك لم يكن كافيًا، فآتون النار المُتَّقد بالقرب مِن المكان يستحضر صورة المذبح. كان على الموسيقى البابلية أن تكون جزءًا من تلك الطقوس الدينية. يتم ذِكْر سبعة أنواع من الآلات الموسيقية، وكأنها توصل كمال وفاعلية مراسم العبادة والسجود.

اليوم، تتقاذفنا الدعوات من كل جانب لانتهاج أنماط حياة جديدة، وعقائد جديدة، والتَّخلي عن تكريسنا لسلطان الله المُعبَّر عنها في كلمته وأن نُسلِّم ولاءنا لِخُلفاء مُعاصرين لإمبراطورية بابل. إنَّ فِتْنَة العالم وإغواءاته تبدو طاغية أحيانًا، ولكن علينا أن نُذكِّر أنفسنا أنَّ ولاءنا النهائي ينتمي لله الخالق.

بحسب التقويم النبوي، نحن نعيش في الأيام الأخيرة من تاريخ العالم. الأصحاح ١٣ من سفر الرؤيا يُعلن بأنَّ سُكَّان الأرض سَيُدْعَون للسجود للوحش ولصورته. تلك الشخصية سوف تجعل «الجميع: الصغار والكبار، والأغنياء والفقراء، والأحرار والعبيد، تُصنَع لهم سِمَة على يدهم اليمنى أو على جبهتهم» (رؤيا ١٣: ١٦).

ستة فئات من الناس يُقال بأنهم سيعطون ولاءهم لصورة الوحش: «الصغار والكبار، والأغنياء والفقراء، والأحرار والعبيد». إنَّ رقم اسم الوحش، الذي هو ٦٦٦، يُشدِّد أيضًا على العدد ستة. هذا يُظهر أنَّ التمثال الذي أقامه نَبُوخَذْنَصَّر ليس سوى توضيح لِما ستفعله بابل في الأيام الأخيرة (أنظر دانيال ٣: ١ للتشبيه ستة وستين). وعلى ذلك، يجدر بنا أن نولي انتباهنا بما يتضح من وقائع في هذه الأحداث وكيف أنَّ الله بسلطته يوجِّه شؤون العالم.

العبادة ليست مجرَّد الإنحناء أمام شيء أو شخص والاعتراف جهارًا بالولاء النهائي. ما هي الطرق الأخرى، طرق أكثر دهاءً، التي يُمكن أن تنتهي بنا بحيث نعبد شيئًا آخر خلاف ربنا؟

امتحان النار

إنَّ فرض السجود للتمثال الذي أصدره الملك، كان بالنسبة للعبرانيين الثلاثة تزييفًا سافرًا لعبادة الهيكل في أورشليم، التي اختبروها في سني حياتِهم الأولى. وعلى الرغم من مناصبهم في الإمبراطورية وولائهم للملك، فإنَّ ولاءهم لله وَضَعَ حَدًّا لِوَلائهم البشري. إنَّهم يرغبون بكل تأكيد أن يستمروا في خدمة الملك كمُدَراء أمناء؛ ولكنهم، لا يستطيعون الانضمام إلى المراسيم.

اقرأ خروج ٢٠: ٣-٦؛ وتثنية ٦: ٤. ما الذي توضحه هذه الآيات والذي أثَّر بكل تأكيد على الموقف الذي اتَّخذه هؤلاء الرجال؟

عَقِبَ التعليمات التي أصدرها الملك، كان على كل الشعب أن يسجدوا لعبادة التمثال الذهبي عند سماعهم صوت الآلات الموسيقية. ثلاثة فقط - شدرخ وميشخ وعبدنغو - تجرأوا على عِصيان الملك. وفي الحال، تقدَّم بعض البابليين ليلفتوا اهتمام الملك إلى ذلك الأمر. سعى المُشتكون لإثارة غضب الملك بقولهم: (١) إن الملك ذاته هو الذي وضع هؤلاء الشبان الثلاثة حُكَّامًا على قضاء بابل؛ (٢) الرجال اليهود لا يخدمون آلهة الملك؛ (٣) إنَّهم لا يسجدون للتمثال الذهبي الذي أقامه الملك (دانيال ٣: ١٢). ولكن على الرغم من حنقه ضدَّهم، يُقدِّم الملك فرصة ثانية للرجال الثلاثة. إنَّ الملك على استعداد لأن يُعيد الإجراء بأكمله حتى يتمكَّن هؤلاء الرجال مِن التَّراجُع عن موقفهم ويسجدوا للتمثال. إذا رفضوا، سيُطرحون في آتون النار المُتَّقدة. ويختتم نَبُوخَذْنَصَّر مناشدته بكل استعلاء وغرور قائلًا: «ومَن هو الإله الذي يُنقذكم مِن يدي؟» (دانيال ٣: ١٥).

مُلْهَمِين بشجاعة فوق الطبيعية، أجابوا الملك قائلين: «عن هذا الأمر، هوذا يوجد إلهنا الذي نعبده يستطيع أن يُنجِّينا مِن آتون النار المُتَّقدة، وأن ينقذنا من يدك أيها الملك. وإلا فليكن معلومًا لك أيها الملك أننا لا نعبد آلهتك، ولا نسجد لتمثال الذهب الذي نصبته» (دانيال ٣: ١٦، ١٧، ١٨).

مع علمهم بأنَّ إلههم يقدر أن ينقذهم، لم يكن لديهم الضمان بأنَّ الله سيفعل ذلك. ومع ذلك، رفضوا إطاعة أمر الملك، حتى مع علمهم أنهم قد يُحْرَقُون أحياء. مِن أين نأتي بهذا النوع مِن الإيمان؟

الرجل الرابع

اقرأ دانيال ٣: ١٩-٢٧. ماذا يحدث؟ مَن هو الشخص الآخر الذي في النار؟

بعد أن طُرِحَ العبرانيون الأمناء في النار، ذُهِل نَبُوخَذْنَصَّر وهو يلاحظ وجود شخص رابع داخل آتون النار. إلى حدٍّ علمه، يُشخِّص الملك الشخص الرابع على أنه «ابن الآلهة» (دانيال ٣: ٢٥).

لم يستطع الملك أن يتكلَّم أكثر، ولكننا نحن نعلم مَن هو ذلك الشخص الرابع. لقد ظهر لإبراهيم قبل هلاك سدوم وعمورة، تصارع مع يعقوب عند مخاضة يبوق، وكشف نفسه لموسى على العليقة المُحترقة. إنَّه يسوع المسيح في هيئة قبل التَّجسُّد، آتيًا لكي يُظهر أن الله يقف مع شعبه في مشاكلهم وصعوباتهم.

تقول إلن ج. هوايت: «لكن الرب لم ينس خاصَّته. فإذ أُلقي شهوده في الآتون أعلن المخلِّص نفسه لهم شخصيًا، وساروا جميعهم يتمشون معًا في وسط النار. ففي محضر رب الحرارة والبرودة فَقَدَ اللهب قوَّته على الإحراق» (روح النبوة، الأنبياء والملوك، صفحة ٤١٩).

وكما قال الرب في إشعياء: «إِذَا اجْتَزْتَ فِي الْمِيَاهِ فَأَنَا مَعَكَ، وَفِي الأَنْهَارِ فَلاَ تَغْمُرُكَ. إِذَا مَشَيْتَ فِي النَّارِ فَلاَ تُلْذَعُ، وَاللَّهِيبُ لاَ يُحْرِقُكَ» (إشعياء ٤٣: ٢).

مع أننا نحب قصصًا كتلك، فإنَّها تُثير السؤال حول آخرين لم يتم إنقاذهم بطريقة مُعجزية من الاضطهاد لإيمانهم. مِن المؤكَّد بأنَّ هؤلاء الرجال يعرفون اختبار إشعياء وزكريا، اللذين قُتِلا على أيدي ملوك أثمة. عبر كل التاريخ المقدس، وحتى إلى يومنا هذا، يتحمَّل المسيحيون الأمناء مُعاناة رهيبة انتهت بعذاب الموت وليس بالنجاة العجائبية، على الأقل في هذه الأرض. هذه واحدة من الحالات التي أُنْقِذَ فيها المؤمن بطريقة معجزية ولكن، كما نعلم، ذلك لا يحدث في غالب الأحيان.

من ناحية أخرى، ما هو الإنقاذ المُعجزي الذي سيناله جميع المؤمنين بالله، بصرف النظر عن مصيرهم هُنا؟ (انظر ١كورنثوس ١٥: ١٢-٢٦).

سِرُّ إيمانٍ كهذا

إذ نتأمَّل في اختبار شدرخ وميشخ وعبدنغو، قد نسأل أنفسنا: ما هو سر قُوَّة هكذا إيمان؟ كيف استطاعوا أن يكونوا مُستعدِّين لأن يُحرَقوا أحياء بدلًا مِن أن يسجدوا للتمثال؟ فكِّر في كل الطرق التي كان يمكنهم أن يُسوِّغوا أو يُبرِّروا بها سجودهم إذعانًا وامتثالًا لأوامر الملك. ومع ذلك، برغم إدراكهم أنهم قد يموتون، كما فعل غيرهم كثيرين، مع ذلك وقفوا ثابتين.

اقرأ عبرانيين ١١. ماذا يُعلِّمنا عن «ما هو الإيمان»؟

لكي نُنمِّي مثل هذا الإيمان، نحن بحاجة لأن نفهم ما هو الإيمان. بعض الأشخاص لديهم إدراك كَمِّي للإيمان؛ يقيسون إيمانهم على قدر استجابات الله لهم. يذهبون إلى السوق ويُصَلُّون من أجل أن يمنَّ الله عليهم بموقف لسيارتهم. إذا حدث ووجدوا مكانًا حين وصولهم، يستنتجون أنَّ إيمانهم قوي. وإذا كانت جميع الأماكن مأخوذة، قد يعتقدون أن إيمانهم ليس قويًا بالقدر الكافي لكي يستجيب الله لصلواتهم. هذا المفهوم عن الإيمان يُصبح خطيرًا لأنه يُحاول المناورة مع الله ولا يأخذ بعين الاعتبار سلطان الله وحكمته.

في الحقيقة، الإيمان الحقيقي، كما استُعْلِنَ في أصحاب دانيال، يُقاس بقيمة علاقتنا مع الله وما ينتج عنها من ثقة مُطلقة في الله. إنَّ الإيمان الصادق الحقيقي لا يسعى إلى تَطْوِيع إرادة الله لتتوافق مع إرادتنا؛ بدلًا من ذلك، إنه يُسلِّم إرادتنا لإرادة الله. كما رأينا، لم يعرف الرجال العبرانيين الثلاثة ما يحمله الله لهم عندما قرروا أن يتحدُّوا الملك ويظلوا أمناء لله. لقد قرَّروا أن يفعلوا الصَّواب بالرَّغم من العواقِب. هذا هو ما يُميز بحق الإيمان الناضج. نحن نظهر إيمانًا حقيقيًا عندما نُصلي إلى الرب ما نبتغيه، ولكننا نثق بأنَّه سيفعل ما هو أفضل لنا، حتى وإن كنا لا نفهم ماذا يحدث أو لماذا.

ما هي الطرق التي يمكننا أن نُدرِّب بها إيماننا يومًا بعد يوم، حتى في ‹الأشياء الصغيرة› التي يمكن أن تُساعد إيماننا على أن ينمو وأن يكون مُستعدًا لمواجهة تحدِّيات أكبر عبر الزمان؟ لماذا، في أمور متعددة، تُعتبر الاختبارات في ‹الأشياء الصغيرة› هي الاختبارات الأكثر أهمية؟

الجمعة

٢٤ كانون الثاني (يناير)

لمزيد من الدرس: «إن لنا في اختبار الفتية العبرانيين في بقعة دورا دروس هامَّة جدًا نتعلَّمها. ففي يومنا هذا يوجد كثيرون من عبيد الله الذين مع أنهم أبرياء ولم يرتكبوا شرًا فسيسلَّمون إلى الإذلال والإهانات على أيدي الذين أوغر الشيطان صدورهم فامتلأت قلوبهم بالحسد والتَّعصُّب الديني. وسيثور غضب الناس على الخصوص ضدَّ مَن يُقدِّسون سبت الوصية الرابعة. وفي الأيام الأخيرة سيصدر منشور عام يشتكي فيه عليهم بأنَّهم مستوجبون الموت.

«إنَّ زمان الضيق الذي سيواجه شعب الله يتطلَّب إيمانًا لا يضعف ولا يتزعزع. وعلى أولاده أن يُعلنوا أنَّه هو موضوع عبادتهم الوحيد، وأنه لا يمكن لأي اعتبار ولا حتى الحياة نفسها أن يغويهم على الإذعان ولو إلى حدٍّ يسير نحو العبادة الكاذبة. إن تعاليم وأوامر الناس الخطاة المحدودين هي في نظر الإنسان المُخلص الأمين غاية في التفاهة بالمقارنة مع كلمة الله الحيّ الأبدي. ولا بدَّ من إطاعة الحق ولو نجم عن ذلك السجن أو النفي أو الموت» (روح النبوة، الأنبياء والملوك، صفحة ٤٢١-٤٢٢).

أسئلة للنقاش

١. اقرأ ١بطرس ١: ٣-٩. لماذا يُنقِذ الله مِن الآلام البعض، ولا يُنقذ غيرهم؟ أو أنَّ الإجابة على مثل هذه الأسئلة هو شيء لن نستطيع الحصول عليه الآن؟ في الحالات التي لا يظهر فيها الإنقاذ المُعجزي، لماذا نحتاج إلى أن نثق في صلاح الله رغم خيبات الأمل والإخفاق؟

٢. لو أنَّ هذه الحادثة انتهت بموت الفتية العبرانيين في آتون النار، مع ذلك، أيَّة دروس يمكننا أن نستخلصها منها؟

٣. من مفهومنا لأحداث آخر الأيام، ماذا سيكون الموضوع، العلامة الظاهرية، التي ستُظهر مَن هو الذي نعبده؟ ماذا يجب أن يُخبرنا هذا الآن عن مدى أهمية السبت؟

٤. اقرأ إنجيل لوقا ١٦: ١٠. كيف تُساعدنا كلمات المسيح هُنا لنفهم المعنى الحقيقي للحياة بالإيمان؟

٥. أعِد قراءة دانيال ٣: ١٥، عندما يقول نَبُوخَذْنَصَّر: «مَن هو الإله الذي ينقذكم مِن يدي؟» كيف تجيب عن هذا السؤال؟